



فاطمة المحسن



دراقة من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ليع

العدد (4392) السنة السادسة عشرة -

الخميس (14) آذار 2019

WWW. almadasupplements.com

5

فاطمة المحسن تحكي عن

الغربة والوطن والشعراء



الحدائثة العربية، ومنها العراقية بطبيعة الحال، أنتجتها صدمة الاستعمار وعمليات المثاقفة.. كانت ثمة بذور للتحديث كامنة في رحم الواقع التاريخي إلا أنه ما كان لها أن تنشط وتثمر في حينه من غير فاعلية ذبئك العاملين.. كان التاريخ، في الزمن العربي، تحت ثقل الهيمنة العثمانية الطويلة، شبه متوقف، والحياة تكاد تكون راكدة، عقيمة، سماتها الفقر والجهل والعزلة.. وبوصول طلائع سفن الغزو الأجنبي شواطئ الأراضي المسكونة بالناطقين بالعربية (لمصر أولا، مع حملة نابليون ١٧٩٨) بدأ الزمن بالتلمل، وراح الوعي يستيقظ وإن ببطء، وبرزت نخبة تحلم بتغيير الواقع. ومنذ ذلك الوقت حدثت تطورات كبيرة لا تترك، رافقتها انتكاسات وتشوّهات وإحباطات، جعلت من مسألة التحديث، في هذا الركن من العالم، إشكالية معقدة. وما زالت الدراسات والأبحاث تترى في مختلف البلدان العربية لإنارة المسألة ورؤيتها بوضوح أكبر، واقتراح حلول للمشكلات المتعلقة بها. وكتاب فاطمة المحسن (تمثّلات الحداثة في ثقافة العراق) واحد من المقاربات الذكية والناضجة بهذا الشأن.

فاطمة المحسن وتمثّلات الحداثة



الحاكمة. ولا يمكن، كما تقول المحسن: "تصوّر التعليم المدرسي بعيداً عن ستر اتيجيات تهدف إلى خلق منظومات للضبط و أفعال السيطرة السياسية، وهي في النهاية نوع من العقلنة المتقدمة للمجتمع، حين تقوم السلطة بمأسسة التقدم العلمي والتقني، كي تلغي الشريعات القديمة حسب تعبير هابرماس ص٢٦١.

ويفضل أساتذة أكفاء من أصحاب الشهادات الرفيعة التي حصلوا عليها من جامعات عالمية، وبعضهم من العرب والأجانب، وحول التخصصات العلمية الدقيقة التي فتحت في الجامعات العراقية صار بالاستطاع ربط التعليم بالمجتمع، وجعل الجامعة منارا ثقافيا حديثا مشعاً يشمل بتأثيره المواقع الاجتماعية خارج أسوار الجامعة. وكان من أهم تلك الحقول المتخصصة هو التاريخ والآثار. وقد عدّ هذا الحقل الفضاء الذي تستثمر مخرجاته العلمية في تعميق الوعي الاجتماعي الوطني، وإنشاء سردية تاريخية يمكن الركون إليها في تثقيت شرعية المجتمع المدني الحديث والدولة الجديدة. وبهذا تمت الاستفادة من مناهج المستشرقين وطروحاتهم، عبر تفحصها علمياً وتقديمها. "ولعل عمل المؤرخين العراقيين المشتغلين في حقل الآثار (الأركيولوجيا) كان قد أخرج الدرس التاريخي إلى أفاق أكثر رحابة وتميزاً في الخصوصية المحلية التي تستقرئ ما يتقى من حضارات الماضي في لغة المكان وعاداته وطقوسه" ص٢٦٦. وكان الهدف ، في النهاية، هو خدمة الحاضر، وترصين الهوية المعرفية "التي تصل الدرس المحلي ببعده التسولي" ص٢٧٠. والهوية المجتمعية، الوطنية، المتخطية للهويات الفرعية، ما قبل الدولية. وبرأي المحسن أن علينا "معرفة التاريخ من حيث هو مجال للتألف مع الغرب، ومن حيث علاقته بالهوية، وعلاقته بالعلم والأنب، وارتباطه بالدرس الأكاديمي" ص٢٧٤. وتدرس المؤلفة، من منظور تحليلي نقدي، المساهمات المائزة لأربعة من كبار المؤرخين العراقيين، يختلقون في الرؤى والمرجعية الأيديولوجية ومناهج البحث، وهم: جواد علي وعبد العزيز الدوري وطه باقر وعلي الوردی.

تلاحظ المؤلفة أن الجامعات فقدت حياديتهها ورسالتها العلمية بعد أن أقحمت المؤسسة السياسية المتولدة نتيجة الانقلابات العسكرية يدها في المناهج والفضول والإدرات.. تقول: "ولم يضعف مستوى الجامعات إلا بعد الاضطرابات السياسية التي صاحبت الانقلابات

العسكرية، والتي تسربت فوضاها الجماهيرية، واستهانتها برصانة المؤسسات و علميتها إلى النظم التعليمية في العراق وفي مقدمتها الجامعة" ص٢٦٥.

الفصل الخامس والأخير من دراسة فاطمة المحسن الجادة والمهسية تخصصه للجليل الستيني، ولعقد الستينيات وما جرى فيه من انقلابات وتحولات حدائية. وهو العقد الذي يعد منعطفاً فارقاً في مروية القرن العشرين السياسية والثقافية بعدما شملت بأصدائها معطم أنحاء العالم المتمدّن.. العقد الذي شهد ثورات شبابية كبرى، ذات شكل ثقافي بارز، في بلدين غربيين مهمين هما أميركا وفرنسا، وما تميّزت به هذه الثورة هو طابعها الأممي المرتبط بالممارسة الثقافية، الذي يملك عدوى التعميم والانتشار في كل العالم، إضافة إلى ميزتها الأخرى وهي شعبية وجماهيرية الكثير من تصوّراتها وطرائق تعبيرها" ص٣١٦.

كانت تلك الثورات الصاخبة، في جانب منها، ذات روح يسارية متأثرة بأفكار تروتسكي وماو وجيفارا، فقد دعت إلى تحطيم العالم القديم والتمرد على جيل الأباء وقيمه وأخلاقاته ومؤسسته، وتحقيق المساواة والحرية. وهي لم تخل في الوقت عينه من تنتمي فكريا إلى تيار يساري، عارض بلا هوادة، المخدرات وارتداء الملابس الغربية، وحتى بعض السلوك العنيف. وكانت لها انعكاساتها في مجالات السياسة والثقافة والفكر والسلوك الاجتماعي، على الرغم من أنها لم تحقق أهدافها المعلنة بسبب عفويتها، وعدم نضج الشروط التاريخية لجعلها ثورة مستمرة. وترى فاطمة المحسن أن الستينيات الثقافية كانت عابرة للحدود، وإنها "مرت على الشرق الأوسط على نحو غير مسبوق، ليس في الأدب والفن، بل في الحياة العامة. وبدت في السبعينيات أشد وضوحاً في موضات الملابس وقصات الشعر والسينما الجديدة و فرق الموسيقى والرقص وانتشار أغاني الروك والبيتلز وسرقيات البعث وسواها" ص٣٢٠. وتشير المحسن إلى تأثيرات السينما المصرية والثقافة الفرنسية والثقافة الأميركية، لاسيما من خلال أفلام هوليوود، على "موضات الملابس وأساليب التصرفات" ص٣٢٢. في العراق، وقد استطاعت السينما، حيث انتشرت دور العرض العصرية في بغداد والمحافظات، "أن تسهم بشكل فاعل في تشكّل الوعي الحدائي لمرتابيها في مدن بعيدة ومقصية قبل أن يكون للتلفزيون هذا التأثير المباشر" ص٣٢٣.

مع الستينيات بدأت نثر انتهاء دور المثقف الطليعي الراعي للمجتمع. وبرز جيل آخر حاول التخلص من فكرة الانزلام، فراح المثقف يبحث عن ذاته "ويطلب من الجمهور أن يساير مزاجه الشخصي ويتجاوز الواقع إلى عالم الشطحات والعجائب، سواء في الشعر أو الفنون التشكيلية والمسرح، والحق أن الذي شجّع هذا الحال تزيد عدد طلاب الجامعة والشباب الحدائي، وظهور مجتمع من المتعلمين أكثر تأثراً داخل الحياة الاجتماعية" ص٣٣١.

× ادب وكاتب راحل سبق ان نشر هذا المقال في جريدة الندى عام ٢٠١٥

من النادر أن تقع هذه الأيام على مصدر معرفي، يوفر أجوبة ما، لأسئلة عن المآزق الذي انتهت إليه الحداثة في العراق، دولة معاصرة وثقافة وافكاراً، غير أن كتاب الناقدة فاطمة المحسن «تمثّلات الحداثة في ثقافة العراق» يوفر مثل هذا المصدر، لا بل إنه

فاطمة المحسن تعاين مآزق الحداثة

في الثقافة العراقية



علي عبد الأمير

تضعنا المحسن مبكراً في قلب المشهد الذي تعاينه في كتابها، عبر قول موجز، لكنه على جانب كبير من القوة والتكثيف، لأبي الحداثة التشكيلية العراقية، جواد سليم: «خلال هذه الأربع سنين (يقصد سنوات الحرب العالمية الثانية) التي توقفت فيها باريس وأوروبا عن العمل، لم تتوقف بغداد عن العمل، كانت تعمل ببطء وصمت. كانت فقيرة وجاهلة، لكنها كانت تشتغل خلال هذه الفترة». والإشارة البارزة هنا، من الكتابة التي تنتمي فكريا إلى تيار يساري، عارض بلا هوادة، «مشروع الحداثة الواعد، في العراق، الذي أنتجه النظام الملكي، كانت مهمة لجهة الكشف عن «الانقسام» الذي عاشته الثقافة العراقية، فهي ابنة مؤسسة الدولة التي تحض على الحداثة عبر «انتشار التمدن وارتفاع عدد المتحقّين بالمدارس والجامعات، والمستفيدين من المؤسسات العلمية ومناهجها وفرصها»، لكنها أيضاً المولعة بالشقاق والصدام مع الدولة التي استطاعت عبر مؤسسة التعليم من «بناء قاعدة منتجي الثقافة ومنتقياها»، ولاحقاً إنجذاب المؤسسة الأكاديمية في رفعها قضية الحرية الغربية إلى مستوى «موضع درس يتردد بين أجواء الجامعات العراقية.. وتبرر الكتابة المحسن، هذا الانقسام الذي ساد مثقفي العراق، وتحديدأ بعد الحرب العالمية الثانية، بقولها «كان الكثير من مؤسسي الحداثة عذبا في الأدبية في العراق، يضمرون إعجاباً وتطلعاً غير مسبوقين للثقافة الغربية، بين أن خيارات نسبة كبيرة منهم، تقف ضد ما يسمى الحداثة السياسية التي جلبتها السيطرة الكولونيالية على العراق».

وفي حين تبدو المؤلفة دقيقة في توصيف حال «الحداثة»، بوصفها أمراً مقتصرأ على جهود نخب مرتبطة بشروع الدولة، من دون اتصال ب «الأثرية الشعبية»، إلا أنها لم تتوقف، عند العناصر الاجتماعية المتفتنة التي حالت دون حداثة «الأثرية الشعبية». فلا إشارة عند المحرمات التي أعلنتها المؤسسة الدينية، وتحديدأ الشيعية، ومشروع الحداثة الذي تنبته الدولة العراقية المعاصرة منذ تأسيسها، كما غابت الإشارة إلى القيم العشائرية التي ظلت مانعا لقيم الحداثة أو معرقلا لها في أحسن الأحوال. وعلى هذا النحو فإن «نخبوية» مشروع الحداثة، كانت بسبب ارتباطها ب «مشروع الدولة»، حتى وإن كان هذا المشروع هو من بنى المدارس والجامعات

من النادر أن تقع هذه الأيام على مصدر معرفي، يوفر أجوبة ما، لأسئلة عن المآزق الذي انتهت إليه الحداثة في العراق، دولة معاصرة وثقافة وافكاراً، غير أن كتاب الناقدة فاطمة المحسن «تمثّلات الحداثة في ثقافة العراق» يوفر مثل هذا المصدر، لا بل إنه

يعيد القضية إلى مجال حيوي، هو السجال الذي ما انفك محتدماً

في العراق، منذ أن أظهرت أحداث ما بعد

الغزو الأميركي، حال التهرؤ التي وصلت إليه الدولة «الحديثة»

ووسائلها في الحكم، لا بل حافات الانحطاط الفكري والإنساني التي

قاربها المجتمع في فوضاه المطلقة. وإن كان الكتاب يتوقف فعليا

عند أعتاب سبعينات القرن الماضي، لكنه وفرّ، وللمرة الأولى بحثاً

متأنياً وواسعاً في آن، لما قادت إليه الصراعات الفكرية - السياسية

من تقتت لمشروع حدائي واعد كانت أربعينات القرن العشرين

وخمسيناته تحمله إلى العراق، بل وتشهد على مساراته وبنائه.

التعميط، إذ نعرف أن كثيراً ممن كانوا وادأ

ثابتين للمقهيين، هم من قادوا توجيه الثقافة العراقية نحو قضية العدالة التي تستحقها «الأثرية الشعبية».

هذا الكتاب الذي تستأنف فيه المحسن، كتابها السابق «تمثّلات النهضة في ثقافة العراق الحديث، الذي صدر قبل أربعة أعوام، يغوص في مشروع الحداثة بغية كشف «مآزقه». فسنوات الأربعينات والخمسينات (من القرن الماضي)، «شهدت نضج مشروع الدولة العراقية، كما توضحت من خلاله ملامح طبقة وسطى مؤثرة سواء بمرکزها الإقتصادي أو نسبة متعلميها، أو تعدد مواقع رعاة فكرة التمدن داخلها. إن كانوا

من المنضوين تحت لواء السلطة أو المعارضين لها»، لكن «فكرة الثقافة، نفسها غير قادرة على أن تقدم تفسيراً مقنعاً لحالة عامة، أي ما يعتقد

الناس عنها، وما يسلكون من أفعال تعبر عن

القيم السائدة، ويضم القاصر أنيس زكي حسين

والمترجم الذي نقل مبكراً «اللامنتمي» لكون

ويلسون إلى العربية الغربية التي ترجم إليها أيضاً،

و«السقطه» و«أسطورة سيزيف، لأليير كامو،

و«الإنسان الضصر» لديستوفسكي، وغيرها

من «الترجمات التي ختم بها حياته الأدبية

معتزلاً لكل ما يمت بصلة إلى العراق الثقافي»

ويضم الجليل ذاته، عدنان رؤوف بوصفه «مثقفاً

أسقطاطيا على صلة وثيقة بالإنكليزية والأدب

الأمريكي»، وثمة أيضاً نهاد التكرلي، نجيب المانع

ومحمود البريكان، بوصفهم جميعاً من «المغتربين

عن مجتمعهم». وعلى الأرجح أن ما قدمته فاطمة

المحسن في قراءة المسار «الأغترابي» لهؤلاء،

يستحق منها أن تقدمه في كتاب على حدة،

بقراءة نقدية أدبية لا تفارقها سيقاات البحث

السوسيولوجي.

كتاب فاطمة المحسن، الذي أنجزته في ظرف

عصيب من حياتها «كان مرضي الصعب أحد

أسباب انقطاعي عنه فترة من الزمن، ولكنه كان

محفزاً كي استكمل فيه حياتي الطبيعية، بغرض

بعاية المعرفة وجدية البحث وفراة أفكاره،

وهو كتاب رائد في تفكيك أربعينات القرن الماضي

وخمسيناته وستيناته الفؤارة بأحداث وتأثيرات

لم تفتقرن بها وحسب، بل طبعت عموم الحياة في

البلاء، حتى يومنا هذا الذي شهد فيه «السقوط

المدوي للحداثة في العراق».

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

١٩٩١

فاطمة المحسن أسئلة في التاريخ .. أسئلة في الحداثة



تسعى الباحثة فاطمة المحسن عبر حفر أرشيفات التاريخ العراقي المعاصر الى إثارة الكثير من الأسئلة حول مفاهيم النهضة والثقافة والمكان والشخصيات، وما تعالق بها من أشكال معقدة للصراعات والازمات التي ارتين الى معطياتها وطباعتها الواقع العراقي وسماتها في المشهد السياسي والثقافي والديني.

في كتابها «تمشلات النهضة في ثقافة العراق الحديث»، تضعنا الباحثة امام إغواءات هذه الأركولوجيا، وأمام تعقيدات التاريخة والمفاهيمية دفعة واحدة، إذ انحنت بدءاً على استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

علي حسن الفواز

ارهاصات هذا الصراع، وقد اعتمدت الباحثة العديد من الشواهد لتأكيد ما ذهبت اليه من خلال طروحات محمد بهجت الاثري في مروياته، وفي كتابات محمود أحمد السيد والذي استقرت الباحثة عبر رواياته تحولات الوعي الجديد، وطبايح الصراعات التي تواجه مصائر ابطاله وهم يعيشون عقد هذا التحول التاريخي والنقسي والثقافي، وكذلك ما اقترحه مؤلفات سليمان فيضي الايقاظية من حوارات، وما أثارتها حينها من جدل داخل الوسط الثقافي العراقي.

واحسب ان الفصل الرابع «الاصلاح الاسلامي» يمثل قراءة مفصلة للمشهد العراقي الذي يعيش تاريخيا أزمة صراع عميقة تقوم على ما هو مكرس رمزيًا في الثقافات الدينية والشعبية، حيث عمدت الباحثة الى استجلاء ظواهر التجديد في هذه الثقافات من خلال قراءة تحولاته الداخلي، وعلاقتها مع غيرها، خاصة فيما يتعلق بصراع المذاهب وجدل الأفكار حول هذه المذاهب وتعايلها مع مفاهيم النهضة، وعلاقتها بالعقائد، ونظرتها الى الاصلاح، والاجتهاد والشروطية، وكذلك النظر الى التجديد في جوهر هذه العقائد الشيعية والسنية.

وحمل الفصل الخامس عنوان «حركة الأفكار، تشكل الوعي الجديد» لتضعه الباحثة بمثابة اطلالة على كل القدمات التي أسهمت في حراك الأفكار، وفي التمهيد لحركة التجديد، بدءاً من مآثر كنه قصص الرؤيا وعمليات المناقشة التي اثرتها وسائل الترجمة، والإشارة الى «منجزات علماء الغرب ككورنيكوس ودارون ونوتن واينشتاين وافكار سبنسر وديكارت ونيشه ولوبون» (ص ١١٤) وما اشاعه هبة الدين الشهبستي والرشاوي من أفكار وقرارات وفرصيات في الوسط الثقافي العراقي، فضلا عن مآثره في الايديولوجيا كدعوة وتنظيم» في التوصيف ازاء استحقال اجرائي يضع قيومة ثقافة النهضة على اساس انها تقوم «على التجاذب بين عناصر التقليد والتجديد داخلها، إذ كانت فكرة التقدم تستهوي مجموعة كبيرة من الكتاب والمثقفين في صياغة ابداع وبيئتهم رجال الدين» (ص ٩٦) أي ان مفهوم المثقف يخضع الى المزاوجة التي تتسع لوعي اشكالات الصراع بين القديم والجديد، والى توصيف عمومي مشترك في النهج التي تعيش

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

والقومية، وكان هذه التحولات استحضار مفهوم النهضة كسياق توصيفي للتعايش مع التحولات الثقافية العميقة في العراق الحديث، وكسياق منهجي وضع قراءة هذه التحولات بمثابة كشف لما تضمره من شفرات وعلامات تعبر عن مخيال الهوية الوطنية، وعن صراعاتها الزاء الحداثة، وإزاء النزعات الدينية

أول ما يراه المرء في وجه فاطمة المحسن هو الطيبة والحنن الكامن، لكنها عندما تتحدث عن العراق، عراق الشعر والأدب، تعلق نبرتها وتتألق وتتكلم بطلاقة، عن السياب والبياتي والجواهري وسيركون بولص، تبوح بحميمية عن الرواية العراقية التي تشكلت في المنفى، لقد حاولنا بصعوبة ان نتحدث معها عن تجربتها الخاصة، تجربة المنفى والرحيل، ورغم ان كلماتها جاءت قليلة ومقتضبة الا انها موجعة ومؤلمة، وربما كشفت مساحة الصمت عما تخفيه من أس دفين، وشيئا فشيئا عاد وجهها الى سمته الأول، القارئ ان الصمت في هذا الحوار كان أحياناً أبلغ من الكلام:

فاطمة المحسن تحكي عن الغربية والوطن والشعراء

الرجل الناقد؟

لا يوجد فارق حقيقي بين الرجل والمرأة في ذلك المجال، فكل منهما وسائله الخاصة في التعامل مع النص، لكن اذا صح ان نقول: ان هناك نوعاً أنتويًا، فربما تكون علاقة المرأة الناقد بالنص مختلفة بعض الشيء عن علاقة الرجل.

الرجل الناقد والمرأة الناقد

في مرحلة بعيدة من حياتك مارست كتابة الشعر، كما انك تكتبين القصة أحياناً...؟! فلماذا لم تنشري أعمالك الإبداعية مجموعة؟! اعتقد حتى الآن انني أكتب القصة كجزء مني ولا ادخل للمقارن بها، ليس رهبة امام عملية الإبداع وإنما لاجساسني انه امر خاص بي، لقد نشرت بعض تلك الاعمال في الصحف لكني لا انكر اين ومتى، ربما يذكرني الاصدقاء بذلك أحياناً..!

الرواية العراقية في المنفى

لقد قدمت عددا من الدراسات الهامة عن الأدب العراقي الحديث، وكانت اطروحتك للدكتوراه في هذا الموضوع..، الآن وأنت في المنفى كيف ترى الأدب العراقي؟ بالنسبة للرواية من الصعب ان نلخص ملامحها في المنفى، لكن هناك اشتراك في المضامين نوعاً ما،، ربما لأن الأحداث العراقية تكاد ان تكون ساخنة، فمثلا هناك الحروب المستمرة منذ فترة طويلة، وكذلك الاهتمام بقضية الهجرة، لأن الكاتب العراقي يحاول ان يضع نفسه في داخل المحيط الجديد ابداعيا، من ذاتي، الى استعمال الوجدان واللاشعور أحياناً بغرض التقاط الخفي من النص، والتقاط العناصر التي سابلورها في صيغة نقدية معينة، هذا الاذن ان النقد عملية موضوعية باردة او خارجية انما هي جزء مني،، جزء من كيانتي،، لهذا فإن الكتابة تعبئني أحياناً، وقد تملؤني بالرضا وقد تملؤني بالغضب، واصل معها في أوقات كثيرة الى الشعور بالانهاك العقلي والروحي.

«أثمة أدوات أخرى للناقد غير ما يمكن تسميته بالتعايش مع النص»؟ أنا لا أقصد كلمة (التعاطف) لكني أقصد البحث عن التكوين الأخر داخل النص، عن خلق صلة وحيية معه بجانب الصلة العقلية، لأنه لا يمكن الاشبك مع النص على كافة المستويات الا بهذين الامرين، بجانب التأمل والتفكير بالنص،، وان يكون لدى الناقد نوع من التراكم المعرفي في مجالات متعددة.

«هناك رأي يقول بأن المرأة الناقد تختلف عن

بلد الشعر

× وبالنسبة لتجربة الشعر في المنفى؟ كثير من شعراء العراق هاجروا وعاشوا المنفى، لكننا لا نستطيع ان نقول ان الشعر العراقي استفاد كثيراً من المنفى، ورغم ترجمة شعرائنا لنماذج متعددة من الشعر الغربي إلا ان تأثيرهم بها كان محدوداً، وبقيت تقاليد الشعر العراقي منذ السياب مهيمنة،، لدينا أسماء كثيرة وهامة من الجيل الثاني من شعراء الستينيات وما بعدها أمثال: سعدي يوسف وفاضل العزاوي وهاشم شفيق وعبد الكريم قاسد،، وهناك سيركون بولص الذي تأثر بالشعر الأمريكي، لكن بقيت له نكهته الخاصة واجواؤه المتميزة، فقصيدته واضحة التضاريس، تعتمد على اللعب الواضح باللغة، وتمتاز بالتورية، وبالعاطفية، ويمكن ان نصفها بأنها قصيدة قوية وظيفية وشديدة التماسك دون غموض، انه يقتحمنا بقصيدة نشر بمناسبة ابناءه يعكس ما هو سائد عن قصيدة النثر التي تعاني التشتت والغموض.

«هل قصصت اهتمامك على الأدب العراقي

فحسب؟ بدأت حياة الحلال لا،، فكما قدمت دراسات عن البياتي وسعدي يوسف والرواية العراقية، اهتممت كذلك بالآداب الفلسطينية وبالشعر الفلسطيني وبحركة المهجر وبمدرسة الديوان في مصر،، وما زلت اعمل واعيش في وسط عربي ولكني اركز اكثر على اضاءة الابد العراقي،، فرغم اشتراكنا كعرب في لغة واحدة ما زلنا بحاجة الى التعرف على بعضنا البعض، وخاصة ان الاديب العراقي بطبعه يميل الى العزلة، لولا ان الظروف السياسية ارجعته على الهجرة وعلى الانفتاح على الآخرين، فتعلم العراقي ان يغادر (جلده) برغ مما قد يعاينه من شروخ نفسية زاد منها الحصار السياسي بعدما صار من حروب،، والحقيقة انه برغم ما كان يقام من احتفالات ومرايد إلا ان الابداع

فاطمة المحسن تحكي عن الغربية

العراقي ظل محصوراً ويحتاج الى اضاءة.

حالة حزينة

× بعد كل هذه السنين ألا تفكرين في العودة؟ ابتسمت بحزن أنا ممنوع علي،، ربما يقتلونني عند الحدود...!

لقد غادرت العراق منذ عشرين سنة (١٩٧٩م) بطريقة غير قانونية، حيث سُجنت في العراق وعانيت عشاء شديداً، بسبب الاختلاف الفكري مع النظام، ثم اضطرت للهروب،، وصمت عن الكلام.

× ألا تريدين الحكى عن تلك التجربة؟ ما فائدتها؟، لا اعتقد انها مفيدة للقارئ،، ويكفي الحكى عن الجانب الأدبي؟

× لكن هذه الذكريات الحزينة جزء من تجربتك كناقداً ومثقفة؟ لقد خرجت من العراق عن طريق كردستان حتى وصلت الى ايران، إبان بداية التوتر بين البلدين، ولم تكن معي وثائق تساعدني على الرحيل، وكان هناك وقت للململة الانفاس ثم سرعان ما خرجت الى بيروت، ومن بيروت بدأت حياة الغربة والترحال بين العديد من المدن،، وحاليا استقر في لندن.

× اذا قلت لك،، كيف تصفين شعورك وانت بعيدة عن الوطن منذ عشرين عاماً؟ في البداية كان الأمر صعباً، لا وطن،، لا مكان،، إحساس بالغربة،، بالشوق الى العراق،، الى الناس والأهل،، لكن مع الوقت تعودت على الانتقال، بل أصبحت اعتاد عليه وكان الترحال اصبح جزءاً من تكويني،،

× قلت مانحاً كالطير المهاجر؟ رأيتها تبتمسم ثم تطفر دمعة متوارية في عينها،، وصمت كلانا عن الكلام،،!

عن صحفية الجزيرة السعودية

كتاب «تمثّلات الحداثة في ثقافة العراق» للناقدة فاطمة المحسن وهو استكمال لموضوع بحثها السابق «تمثّلات النهضة في العراق الحديث» ورؤيتها لمفهوم الحداثة العالمية الذي نشأ بفضل جيل من المثقفين العراقيين الذين اتصلوا مباشرة باللغات الغربية، ونهلوا من آدابها وعلومها مباشرة، كما تركز الناقدة على مصطلحات الطليعية والمثقف الثوري ودورهما في الحداثة العراقية من دون أن تهمل المثقف الأكاديمي وأهمية الأبحاث التي كتبها في ميادين مختلفة وعلى رأسها التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

عدنان حسين أحمد

الشراكة بين السلطة.. والمثقف

ملامح الحداثة

في الثقافة العراقية منذ الأربعينات

يتألف الكتاب من خمسة فصول رئيسية أولها «ثقافة المؤسسة وتمردات الحداثة» الذي تركز فيه على مرحلة الأربعينات من القرن الماضي وتعتبرها مرحلة حاسمة في تاريخ العراق لأسباب متعددة أبرزها عودة الدارسين من الجامعات الغربية بعد حصولهم على الشهادات العليا، واستقطاب عدد من الفنانين البولونيين الهاربين من جعجة الحرب العالمية الثانية أمثال ماوتشيك، جابسكي، زيكومونت وياريمبا إضافة إلى عدد من الكُتّاب والأثريين والمستشرقين أبرزهم كنت وود، درزمون ستياورت، أغاغا كريستي وزوجها ماكس مالون، وظهور حركة الشعر الحر بين التجمعات الطلابية في كلية الآداب والتربية بسبب دراساتهم للأنماط العالمية للكتابة الشعرية، ونزوح الأدياء من الموصل والبصرة وبقية المحافظات العراقية إلى بغداد ورفد صحفها ومجلاتنا بالكتّيب من النتاجات الأدبية والمقالات والدراسات الرصينة، وتفاعل المرأة مع الرجل في المعاهد والجامعات العراقية الحديثة، ودخول النساء إلى تجمعات المثقفين العراقيين أمثال الرسامة مديحة تحسين عمر، نزيهة سليم، عالية الغرغولي وروز ماري خياط. وتنظيم المركز الثقافي البريطاني ببغداد لعدد من معارض الفن التشكيلي لعط صبري، حافظ الدروبي، أكرم شكري وجواد سليم مُجتزحاً بذلك مظهرًا جديدًا من مظاهر الحداثة في المشهد الثقافي العراقي. وفي السياق ذاته حاول الرسامون والأدياء تجاوز القيم الأخلاقية السائدة فرسموا أماكن اللهو ومنازل اللذات العابرة فيما تناول الشعراء ثيمات جريئة كانت محجوبة أو مسكوت عنها في الأقل.

الطليعة الثقافية

تشير فاطمة المحسن إلى أن أحزاب اليسار تستعمل كلمة «طليعة» باعتبارها مُعبرة عن هموم الشعب وناطقة باسمه. ومع أن الجواهري كان متصدراً المشهد الثقافي آنذاك إلا أن أدوات تعبيره ظلت كلاسيكية، وأن طليعته كانت تستمد الكثير من لغة الماضي، بل إن صوته كان صوت الجماعة القديمة.

ثمة شراكة بين السلطة والمثقف كما ترى المحسن، فلقد سعى ذو النون أيوب والجواهري إلى الحصول على عضوية مجلس النواب استناداً إلى مكانتهما الأدبية، كما حصل عبد الحق فاضل وهو محام وأديب ومترجم على منصب دبلوماسي مرموق، وأصبح رفائيل بطي وزيراً في الخمسينيات، وأشرف حسين الرخّال على الإذاعة الأمر الذي يكشف عن وجود مثل هذه الشراكة المغلنة.

شأى الرسام عن استنساخ المناظر الطبيعية، وابتعد النحّات عن تقليد النماذج المرئية، وعزّف الشعراء الحداثيون عن الموضوعات القديمة فكتب السياب «أنشودة المطر» ١٩٥٣ وهي من أهم التجارب اللافتة في الحداثة الشعرية العربية رغم أن مشعل الحداثة حمله البياتي وبلند الحيدري إلى جانب السياب. أعرب عبد الملك نوري عن إعجابه المفرط بالأدب الإنجليزي وحاول اقتراح طريقة جديدة في كتابة القصة لكن وجوده الخاطف سرعان ما انتهى في الثقافة العراقية. كما ينطبق الأمر نفسه على الرسام محمود صبري الذي غادر العراق ثم تبنّى «واقعية الكم» وقدم نتاجات شكّلت قطيعة مع ماضيه الفني.

التكرلي وغيرهم. هذا الولع بالموسيقى سوف يتحول إلى كتابة انطباعية أو نقدية عنها على أيدي شعراء وكتاب عراقيين مثال علي الشوك، نجيب المانع، صلاح نيازكي، فوزي كريم وقتيبة الشيخ نوري. لم تكفهم صفات الغربية والضياع والتشتت فبحثوا عن العنقية واللاجدوى والمنحى الوجودي وأسسوا مقاهي وجماعات فنية من بينها مقهى «الواق الواق» التي استمدتها مخيلاتهم من قصص «الف لية ولبلة» وجماعة «الوقت الضائع». ينتمي جيل عبد الملك نوري، ونازك الملائكة، وفؤاد ونهاد التكرلي، ورفعت الجادرجي وجواد سليم وقتيبة الشيخ نوري وغيرهم إلى الفئات المتمكنة ماديا ولكنهم كانوا يصمرون على أنهم يعانون من الضياع، ويمعنون في الهرب من الواقع. حاول بعضهم أمثال عبد الملك نوري وعائذ خصبك ومهدي عيسى الصقر إبراز عيوب وتشوهات المجتمع البرجوازي، كما حاول التكرلي إبراز تصوراتهِ الوجودية وتجسيد فكرة الإحساس بالضياع والشعور بالعبث.

تناولت المحسن في هذا الفصل الشخصية «الداندية» كإنسان «متأنق ومتشاور ومترف»، كما قدمت عدداً من الأدياء الأكاديميين العراقيين الذين اصطخبغوا بالصبغة القومية ودخلوا في صراعات مريرة مع اليسار العراقي برمته، كما أشارت إلى منظملة «حرية الثقافة» ومؤسسة فرانكلين في الستينيات التي دعت عدداً من الأدياء والكتاب ونشرت ترجماتهم ومن بينهم السياب. ونُهي المحسن هذا الفصل بالحديث عن تداخل الثقافة العارفة بالشعبية حينما كتب النّوَاب بعض شعره بمحكية أهل البهور ونشر ديوانه الأول «الريل وحمد» الذي تحوّل إلى أيقونة ثقافية تم عززت هذا المنحى الشعبي لميعة عباس عمارة وغيرها من الشعراء بينما اعتبر القومبيون إبخال المحكية إلى الأدب تجاوزاً على الفصحى وانتهاكاً لها.

ثقافة المدينة الحديثة

ترصد فاطمة المحسن في الفصل الثالث المعالم

نهضة التعليم سوى بعض المدارس اليهودية والمسيحية وهي قليلة جداً في مجتمع غالبيته مسلمة. صاغ البريطانيون المناهج الأولى للتعليم بمساعدة ساطع الحصري فتتنوع الدرس البحثي المتصل بالطرائق الغربية. ركزت المحسن في هذا الفصل على أربع شخصيات أكاديمية مهمة أولها جواد علي الذي قدّم أطروحة نادرة عنوانها «المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية» ١٩٢٨ التي ترجمت إلى العربية عام ٢٠٠٥ وقد استعمل فيها الباحث المنهج الاستقرائي باعتباره جدلية تاريخية بين تصارع الروايات. لم يبنّ الباحث في الروايات ولم يحدّثها ولكنه ينيه إلى مصدرها، وأزمة القاينين بها، وأخطاء المؤرخين أنفسهم. وهدفه هو الفصل بين الحقيقة التاريخية والأسطورة. وقد اعتبرت المحسن هذا الكتاب بأنه يصل

الدرس الثقافي بدقة المعلومة أو الرواية. أما عبد العزيز الدوري فكانت أطروحته «تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري» الذي ربط فيه التاريخ بالسوسولوجيا بالاقتصاد وهي أطروحة متفردة غير أنه في كتابه الثاني «دراسات في العصور العباسية المتأخرة» يرى أن النظر في التاريخ يقوّي ملكة النقد، ويوسع أفق التفكير، ويهدد معرفة نفسية الأمة. ورغم نزعته القومية واتهام بعض طروحاته بالتعصب للعرب والعروبة إلا أنه سجن في عهد البعث الثاني فقرر الخروج من العراق وعدم العودة إليه طوال ما تبقى من حياته. لم تسلم الشخصية الثالثة على أهميتها من التعسف فرغم المنجزات والخدمات الجليلة التي قدّمها طه باقر للثقافة العراقية فإن البعثيين زجّوه في السجن فانقطع عن الكتابة لعقد

ونصف العقد وهو صاحب المؤلفات الأربعة التي ظلت باقية في الذاكرة الجمعية العراقية وأبرزها ترجمته للمحممة «ككماش»، وتعريفاته المتواصلة بالأدب العراقي القديم والكتابة عن تراثنا اللغوي وما اكتنفته من أشياء دخيلة. أما الشخص الرابع فهو علي الوردي الذي حاز على شعبية كبيرة نافست شعبية كبار الشعراء، بل أصبح أيقونة من أيقونات الثقافة العراقية، ويعتقد البعض أن سبب شهرته هو عدم تعاليه على قرائه وقدرته على تحويل الأفكار والنظريات إلى حكايات وقصص جاذبة لا تخلو من الإثارة. تخلص المحسن إلى القول بأنه كان حدائياً وطلعبياً وجريئاً جداً في طريقة طرحه لوجهات النظر في الكتابة النقدية.

معجازات الحداثة

يمكن قراءة الملامح الجديدة للحداثة من خلال موضات الملابس، وقصّات الشعر، والفرق الموسيقية والغنائية، وارتياح صالات السينما، وظهور التلفزيون الذي أعلن عن حداثة جديدة في الحياة العراقية. ركزت المحسن على ظاهرة حسون الأميري، الداندي الذي عوّضته الأفلام الأميركية عن الرجل إلى عالم الغرب المسحور. ومعنى الجاز إلهام المدفعي الذي كان يتحدث بلكنة مواطن إنجليزي تعلم اللغة العربية وزواج بين التراث والمعاصرة في أغانيه. وفي الجانب الأدبي توقفت المحسن عند البيان الشعري الذي كتبه فاضل العزاوي ووقعه سامي مهدي وفوزي كريم وخالد علي مصطفى وانطوى على عدد من الرؤى والأفكار الجمالية التي أثارت سجلاً طويلاً بينهم وبين الأجيال السابقة واللاحقة. كما أصدر التشكيليون بيانهم الأول الذي جمع عدداً من التشكيليين العراقيين أبرزهم هاشم سمرجي ومحمد مهر الدين ورافع الناصري.

أشارت المحسن إلى أهمية جماعة كركوك ودورهم في صناعة الحداثة الأدبية والفنية ودخلوا في صراعات مع سامي مهدي الذي اتهمهم اتهامات شتى بحجة انتمائهم إلى قوميات كردية وتركمانية وأشورية وحقيقة الأمر أن الكثير من الذين كتبوا الأدب الحدائفي أو السوربالي على وجه التحديد كانوا عربياً أيضاً نذكر منهم فاضل عباس هادي، جليل حيدر، عبد القادر الجنابي، عبد الرحمن طهمازي، هذا إضافة إلى جماعة كركوك وأبرزهم فاضل العزاوي، سركون بولص، مؤيد الراوي، أنور العسائي وآخرين. تختم المحسن حديثه عن بعض الشخصيات النسوية الجريئة مثل عالية ممدوح التي وصفها الناقدة بأنها أكثر جراً من الأدبيات اللبانيات، كما توقفت عند سلمة صالح وبغينة الناصري وسعاد العطار ودورهن الواضح في المشهد الحدائفي العراقي. بكلمة أخيرة يشكّل هذا الكتاب إضافة جدية إلى الأبحاث العراقية الرصينة في الجانبين النقدي والفكري على حد سواء.



عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزّي لير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

«تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث»

فاطمة المحسن توضح ذاكرة غامضة



قبل أن أشرع في الكتابة عن كتاب فاطمة المحسن «تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث»، أود أن أعترف بأن هذه المرحلة الثقافية المبكرة من تاريخ العراق الحديث لا تكاد تعني شيئاً بالنسبة لي كمثقف وكاتب عراقي من جيل لاحق. فماذا بقي من محمود شكري الألوسي، ومحمد بهجت الأثري، وهبة الدين الشهرستاني الذي أخرجته فاطمة من بحر الظلمات والنسيان، وحتى جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي الذي نسيناه لولا صدور كتابه «الرسالة المحمدية» قبل بضع سنوات، ومحمود أحمد السيد الذي يعتبر رائد القصة العراقية. وأنا على ثقة كبيرة بأن فؤاد التكرلي، وعبدالمك نوري، وغائب طعمة فرمان، وآخرين بمن فيهم كاتب هذه السطور لم يعن عندهم محمود أحمد السيد شيئاً، وربما لم يقرأوا نتاجه المندثر.

علي الشوك*

كاتب راحل

أن ليس بمقدور الدارس اليوم استثناء الشعراء الذين عاصروا فترة الرصافي والزهاوي، وعلى وجه الخصوص الشيبينيين، محمد رضا ومحمد باقر، إضافة إلى علي الشرقي وخيري الهنداوي، فلكل كان يتحرك ضمن نسق الكتابة المتلمسة لأسبابا جديدة للقول، غير أن الحضور الأدبي للشاعرين الأبرز كان مختلفاً. تقصد الزهاوي والرصافي. لكنها تشير أيضاً في هذا السياق إلى أن عبدالكريم الدجيلي يرى أن محمد سعيد الحبوبى هو رائد الشعر العراقي الحديث، ويوجد سبباً لهذا الخيار في لغته اللينة المطواعة ومواضيعه التي تتضمن الغزل وشعر الطبيعة.

وبالمنااسبة هو القائل: «لا تقولوا صدعنا وجفا / عندكم روحى وعندي بدنى». لكن المشهد الشعري الكلاسيكي سبهيمن عليه الجواهري الذي سيحتل الساحة الشعرية بلا منازع إلى أواسط القرن العشرين وما بعدها لا سيما بشعره السياسي المتناقل الذي تغنى به حتى المثقفون. ولن يزاحمه حتى بدر شاكر السياب ونازك الملائكة بمنهجهما الشعري الجديد.

وأنا لم أكتب بعد شيئاً عن كتاب فاطمة المحسن المذهل. وأعود فأقول إنني لا أستطيع أن أفية حقه في كلمة قصيرة كهذه. وأنا أطلع إلى كتاب فاطمة التالي الذي ستغطي فيه مرحلة غنية من تاريخ الثقافة في العراق، أعني بها منذ أواخر الربع الأول من القرن العشرين وحتى يومنا.

هذا المقال سبق أن نُشر في جريدة الحياة اللندنية عام ٢٠١٠

بواقع الثقافة العراقية منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين. وكان حديث الشعر والنثر في هذه الفترة من أهم ما يستوقف القارئ. وقد كتبت عنه فاطمة بإسهاب. لكنني أحاول أن أفهم النثر على أنه يمت إلى عالمي القصة والرواية. ولم تستطع فاطمة أن تخصص مساحة للنثر في ما يتعلق بعالمي القصة والرواية، سوى ما كتبه عن سليمان فيضي، ومحمود أحمد السيد الذي عُرف برائد القصة العراقية. وهما لم يقنعانا بكفاءة الفنية حتى في أدنى مستوياتها. فالنثر القصصي والروائي لم يكد يكون له حضور يذكر في عالما الثقافة المبكر ربما حتى أربعينات القرن العشرين. وحتى النثر غير القصصي كان الشعر يقوم مقامه. فقد كان الشعر في أوائل القرن العشرين يعالج موضوعات فكرية وفلسفية وعلمية، وهي ليست من مواضيعه. لأننا كنا أمة شعر. ولم نجرب النثر إلا بعد أن أصبح في مكنتنا أن نكتب القصة والرواية. ومع ذلك بقي الشعر في ثوبه الجديد، مهيمناً على الساحة، وإن صرنا نشهد إنحساره النسبي في السنوات الأخيرة أم إن هذا ما يُخيل لي؟

وتحدثت فاطمة عن محاولات التجديد في الشعر العراقي في المرحلة التي يغطيها كتابها، فاستعرضت آراء الكتاب والنقاد العراقيين بهذا الشأن في فصل تفصيلي تحت عنوان جميل هو «المكوث في زمن الشعر». وقد أجمع هؤلاء الكتاب على أن التجديد تم على يدي الزهاوي والرصافي. لكن فاطمة المحسن تعقب: «وفي الظن

الأول في ١٩٢١؟ وإذا كان من الصعب البت في ذلك، ففي وسعنا القول ان النهضة الحقيقية بدأت في العراق منذ تأسيس المدارس فيه. وهذا تم منذ أواخر العهد العثماني حيث تأسست مدارس ربما مدرستان للدراسة الثانوية، وكلية للحقوق في ١٩٠٨. لكن المدارس في نطاقها الأوسع تأسست منذ تشكيل الحكومة العراقية في ١٩٢١.

وعلى أية حال، كانت فاطمة تروي لنا بإسلوبها الجذاب عن بدايات انتقال العراق إلى العصر الحديث، والعصر الحديث هو لحظة الزلزال إلى الحلبة العالمية، كما قال الزهاوي. وأنا كنت أجد متعة كبيرة في متابعة هذه المعلومات التي ترويها لنا فاطمة عن نهضة العراق.

وتحاول أن تقنعني بأن جيل الرواد لم يكونوا «عاطلين» بالمرة. فمحمود أحمد السيد كتب عن تولستوي وتورغينيف، وترجم قصصاً روسية عن التركية. والزهاوي صدم المصريين بأفكاره المشككة في المعتقدات الدينية. والرصافي ألف كتابه الجريء عن الرسالة المحمدية الذي لم يستطع نشره في أيامه، ولم يجد طريقة إلى النشر إلا في أوائل القرن الحادي والعشرين، ومع ذلك تم توزيعه بتحفظ.

وأعترف بأنها فاجأتني بكتابها هذا، لأنه كتاب من أرفع المستويات، مع أنه أول كتاب لها في حدود علمي. وأنا لا أدري إن كان قد صدر كتاب عن هذا الموضوع يأتي في مصافه. وأنا لا أستطيع أن أتابع تغطية كل فصول هذا الكتاب بعناوينها الجانبية المتعددة، التي تتحدث عن كل ما له صلة

لكنني مع ذلك قرأت كتاب فاطمة بإعجاب كبير وبمتعة فائقة. مفارقة؟ ربما، ففاطمة لم تقنعني بأن هؤلاء المثقفين كانوا أساتذة لي، ولا أظنها كانت تقصد ذلك. فكيف وجدت الكتاب رائعاً رغم ذلك؟ وجدت الكتاب رائعاً لأن فاطمة أعادت إلينا ذاكرتنا المنسية في أيامنا هذه التي يتعرض فيها عراقنا إلى مصير غامض. وتريد أن تستحضر تاريخنا الثقافي بكل دقائقه منذ خروج العراق من دياجير الفترة المظلمة وحتى يومنا هذا. مع ان الفترة المظلمة لم تكن تخلو من محاولات ثقافية متململة، كما في شعر صفي الدين الحلي، وآخرين مثل عبدالغفار الأخرس الذي درسنا شعره في المدرسة، وعلق منه في ذاكرتي: «أتمنى لو أراه حلماً / والتعني رأسمال المفلس».

ويمثل كتاب فاطمة نصف المرحلة، بأمل ان تنجز المشروع بتمامه في كتاب لاحق. وهي مهمة كبيرة لا ينهض بها إلا كاتب ذو قدرات ممتازة. وكل المؤشرات تشير إلى ان فاطمة المحسن تملك هذه المؤهلات. وهي كتبت عن البدايات وانتهت بمشروعها الأول حتى الربع الأول من القرن العشرين. وتساءلت هل بدأت نهضة العراق منذ حكم داود باشا، أخر المماليك، الذي حكم العراق بين ١٨١٧؟ ١٨٣١، وحاول الانسلاخ عن الدولة العثمانية، مثلما فعل الخديويون في مصر، أم منذ حكم الوالي العثماني المصلح مدحت باشا الذي حكم العراق بين ١٨٦٧؟ ١٨٧٠، أم منذ ١٩٠٨ عام صدور الدستور العثماني، أو ربما منذ تأسيس الدولة العراقية في عهد الملك فيصل

عراقيون

